وقعة الطف

مأثرة عربية

بقلم الاستاذ
جميل السيد
دير الزور - سوريا

رشحة من رشحات الادب الرفيع تنبعث من « دير الزور » الشقيق على لسان الأستاذ الفاضل جلال السيد نثبتها هنا على صفحات (البيان الخاص) مكبرين أدب السيد الفياض « البيان »

كما تنفصل الاقمار من الشموس ، وتبقى خاضعة لحركة الشموس ومنقادة لها بجاذبية هي سر من أسرار الكون ، فان محمدا قد فصل من تكوينه الخاص قطعا بمثابة الاقمار من الشموس تتجه اتجاهه وتأخذ سمته ، ويكون لها مفعول بنسبة ما تحوي في ثناياها من خاصة التفوق والصعود .

والحسين بن علي جزء من تكوين محمد فهو لن يستطيع بحكم هذا التكوين الا أن يخضع للاتجاه العام المقدر من الازل والذي كتبته يد الاله وحددت مداه وعينت خططه .

وفي الطف قد انكشف هذا المدى وتبين هذ الاتجاه . وقد ضاقت البيئة وعجزا لجو عن احتوائها ليس من نوعه ، ولم يتشبث القدر في الخروج على خططه فيصنع المعجزات ، وكان على التكوين السامي المتميز عن محيطه ان يختفي وان يتلاشى .

وما كان الحسين بن علي من مادة الزمن الذي عاش فيه ليستطيع الانسجام معه والركون الى مقتضياته ، فاما أن يختفي الحسين واما ان يمحق الزمن ، وما كانت سنة الخليقة ترضى الا ان يستمر الزمن .

الحسين نجم تألق كي يسجل على هذه الارض معاني المثالية والخلوص .

والحسين دفقة من دفقات الحياة الصاعدة تعالت على القواعد وشذت عن السنن فما ساقتها الغريزة الى حب الحياة ولا استجرها الف هذا الحواء الى النزول نحو المادية والدعة والاستكانة والسكون .

الحسين بسمة على فم الدهر ، عجز الدهر عن التذييق بينه وبين مخلوقاته .

والحسين ركب الدرب الخشن كي يوفق بين القول والعمل ، وبين الدعوى والتطبيق ، وبين الظاهر والباطن

والحسين شعلع من الحق انقدح بمتحن استعداد هذا الكون لقبول مثل هذا الشعاع فلم يجد الاستعداد فاختفى الى ان تصلح في الكون امكانياته . ولعله ينبعث من بعد مثل هذا الشعاع ، لقد كانت النبوة لرجل واحد وكان القدر في خدمته ، يمشي في ركابه ، فلا عجب اذا لم يحقق القدر لعلي وللحسين مثل ما حقق لذي النبوة ، وان سار سيرة النبي وترسل خطاه .

ان الاحياء انما يشترط بقاءها ونموها ان تساير شروط المحيط الذي تعيش فيه ، واني للكتلة التي صيغت من مادة الملأ الأعلى ان تستطيع العيش في جو الغرائز والميول والاهواء واللحم والدم .

من منا يستطيع ان ينزل الحسين منزلة الناس فيطمع له بملك او خلافة او طول بقاء ؟ وهو انما قد من مادة النبوة وكللته هالة من هالات الملائكة وصانته عن الدنايا ارحام تحدر منها وأصلاب ليست من نمط هذه البشرية ولا من تكوينها .

الحسين تذوق طعم العدالة والحق بشكل تلقائي نبع من صميمه . فلما لم يجد العدل والحق شائعين اندفع الى مقاومة الذين لم يراعوا الحق والعدل ، وما كان في سيرته شيء من الفر والتراجع والتقهقر ولكنه مشى مشية العدل والمثالية والثبات ، فلم يلتو ، ولم يتضعضع ولا لانت